

فَكَاهَاتِ

رَوَايَاتُ

المتهم البريء (١)

كان في إحدى مدن انكترافتي يدعى يوسف من أسرة شريفة وكان ابواه على سعة من اليسر فرباه تربية حسنة الا انه لم يكد يناهز سن الشباب حتى اخى الدهر على والده فذهب ماله واصبح فقيراً لا يملك القوت ولم يلبث بعد ذلك ان توفي وتوفيت والدته وبقي يوسف يتيماً فقيراً ليس له من يعوله ولا ترك له ابواه ما يعيش به . فجال يطلب له شغلاً يرتق منه فاعلقت الدنيا في وجهه ابوابها ولم يقصد احداً من معارفه يستعينه الا اصم اذنيه عنه الى ان سئم العيش وكثيراً ما كانت تحدته نفسه ان يتناول على بعض بيوت الاغنياء فيسلب منه حاجته ثم تمنعه الافة من ذلك فيكف عنه

ولما بلغ منه الضيق وسدت امامه جميع سبل المعاش عزم على ان يهاجر بلدته الى حيث لا يعرفه احد فاذا تمذر عليه الاستخدام لجأ الى السؤال الى ان يمين الله عليه بالفرج . فغادر مسقط رأسه وذهب هائماً على وجهه الى ان بلغ إحدى ضواحي لندن وكان قد نهكه السلال والجوع فلما الى

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

فندق صغير وجلس ليستريح ثم طلب من صاحب الفندق ان يجود عليه بشيء يسد به رمقه فادركته عليه شفقة واتاه بطعام وشراب ووضعها له على إحدى موائد الفندق فجلس يأكل . وكان على مائدة أخرى بالقرب منه اثنان من اهل تلك الناحية يتناولان الطعام وقد خاضا في الحديث ونظر احدهما من إحدى نوافذ الفندق فرأى قصرًا فاخرًا تحيط به حديقة غناء فقال لمن هذا القصر والحديقة فاخذ الآخر يقص عليه خبر ذلك القصر فقال هو لرجلٍ من الاغنياء يقال له اللرد مانرت وهو رجل قبيح الصورة والاخلاق يبلغ الثمانين من العمر قصير القامة ضخم الجثة كبير الرأس وحشي الملامح له عينان صغيرتان يتوسطهما انف عظيم وهو على ذلك شرس الطباع سيئ العشرة بالغ من البخل لعظم مبلغ مع ان عنده من الاموال والعقار ما لا يعلم مقداره الا الله . وقد تزوج منذ عهد غير بعيد فتاة هي من اجل خلق الله صورة فتيه السن لا تتجاوز الرابعة والعشرين الا انها كانت رقيقة الحال فاكرها اهلها على الاقتران به طمعاً في ماله من بعده واغترت المسكينة بالمال فتزوجت اللرد غير انها لم تلبث عنده الا قليلاً حتى لغت اليوم الذي تم فيه ذلك الزواج وعلمت انها قد وقعت في شرك لا خلاص لها منه الا بموتها او موت اللرد . فانه لشدة غيرته عليها سجنها في قصره فلم يكن يسمح لها بالخروج منه منذ يوم دخلته ولا هو يخرج من القصر ليلاً ولا نهاراً وزاد على ذلك ما هو فيه من البخل والشح الشديد مع سائر ما ذكر من صفاته خلقاً وخلقاً حتى كرهت المعيشة وجعلت تندب حظها وشبابها وان لزوجها نسيباً اسمه ادورد كان يزوره في بعض الاحيان وهو

فنى جميل الطلعة حسن الحلال فاجتهدت في استمالته حتى علق بمحبته
وجعل يكثر من التردد الى القصر والخلو الى الفتاة وشعر اللرد من ذلك بما
مضه واستوقد نار غيرته فخطر عليها مجالسة ادورد واجتهد في قطع الصلات
بينهما قبل تمكنها فزاد ذلك في كدها ونمها واضحت العيشة بينهما مرارة يتقابلان
منها على مثل عذاب السعير . وقد بلغني ان في قصره هذا غُرْفًا قد جمع
فيها من الجواهر الثمينة واللائى النفيسة ما لو وضع في كيس واحد لما تمكن
رجلان من رفعه عن الارض وهذا خلا النقود التي تقدر بالملايين ومع ذلك
فان نفقاته لا تبلغ نفقة اقل واحد من اواسط الناس

وكان يوسف مصغياً لهذا الحديث يسمع ويعجب من تساين قسمة
الله في الارض وهو يقابل حالة اللرد مع حالته الشقية فهم في بيداء الافكار
والتأملات . ولبث تلك الليلة في الفندق فتكرم عليه صاحب الفندق بسرير
ينام عليه فاستلقى على سريريه وجعلت الافكار تدور في رأسه وهو يمتنى
لو يحصل على جزء يسير من تلك الالوف المؤلفة التي عند اللرد فلم يأخذه
غضب وادركته اذ ذاك عوامل خفية امات ما بقي حياً من عزة نفسه
وسلامة ضميره وحدثت عنده جرأة على ان يقصد في تلك الليلة قصر
اللرد ويحتال في الحصول على شيء من تلك الجواهر . وما زال يتردد بين العزم
على ذلك والنكوص عنه حتى انتصف الليل وغلب عليه الاقدام على الامر
فهض من سريريه وحمل كيساً رآه في الغرفة وانسل من الفندق فتوجه
الى ناحية القصر . ولما بلغ سور الحديقة تسلقه ثم اخذ يمشي متحرزاً حتى بلغ
البيت وكانت نوافذ الدار السفلى قريبة من الارض فاحمال على ان فتح

احداها ولم تكن مشبكة بالحديد فسر بذلك واستبشر بنيل مأربه وفي اسرع
من طرفه عين وثب الى داخل الغرفة فاستتر تحت ذيل الظلام . وبينما هو
يفكر كيف ينقل خطواته واي جهة يتخذ اذا بنور قد لمع امامه بغمّة وقائل
يقول له حياً الله مقدمك ايها صاحب . ولا حاجة الى شرح ما لم ييوسف
على اثر تلك المفاجأة ولا سيما وهو لم يتعود ركوب مثل هذا المركب الخيف
ونظر فابصر امامه فتاة بياها البيض وقد سدلت شعرها الاسود على كتفها
وفي يدها شمعة شديدة الضياء فاصطكت ركبته وامتعق لونه وهم بالفرار
غير انه لم يستطع وشعر كأن قوة كهربائية قد سمرت في موقفه فلم يقو
على الحراك . ورأت الفتاة عليه علائم الخوف فكلمته بصوت لطيف وقالت
لا تخف يا صاح فقد لمحك من غرفتي حين تسلفت جدار الحديقة ورأيتك
تحاول فتح النافذة فأتيت للحال لا فتحها لك لو لم تسبقني انت الى ذلك .
والآن فهلم معي بدون ان يشعر بنا احد ولا تخف فاني صديقتك واحب
ان اساعدك فيما تنويه . فقال يوسف لا شك ان قصدك ان تقودني الى
الدار حيث توثق يداي وارسل الى السجن وانا حتى الآن لم اجن جنابة
فدعيني اذهب ولا تخدعيني بدعوى الصداقة وانك تريدن مساعدتي
على سلب بيتكم . قالت بل هو ما اقول لك فاني اريد مساعدتك فعلاً
لا سباب اهمها علمي بانك محتاج ولولا ذلك لما خاطرت بحياتك واقدمت
على هذا العمل . وزوجي اللرد رجل غني واسع الثروة وهو مع ذلك لا يساعد
احداً وانا على عكسه فان لي قلباً يشعر بالمصائب وارى من العار والدناءة
بل من مخالفة مشيئة الله ان تكون الجواهر الثمينة والقناطير المقنطرة من

الاموال مدفونة تحت ابنية هذا القصر وامثالكم يتضورون جوعاً ولا يجدون ما يمسون به رمقهم . اجل اني اود ان اؤسب امثالك ولو افقدت زوجي شيئاً من ماله فاني اكرهه لاني اكره الغني البخل واحب مؤاساة الفقير لاني ذقت طعم الفقر فسر معي ولا تخش ولكن اقفل النافذة التي دخلت منها لئلا يري احد النور هنا في مثل هذا الساعة

ورأت السيدة الكيس على كتف يوسف فتبسمت ثم سارت امامه الى ان بلغا غرفة فسيحة قد خصصها اللرد لجن جواهره وزين جدرانها باصناف الاسلحة والآلات القديمة وملاها بصناديق زجاجية قد وضع فيها مجاميع من اوسمة (نياشين) الدول وما استطاع جمعه من الحلى والمصوغات ونفائس الجواهر . فكان يوسف ينظر الى هذه الاشياء وهو لا يصدق ان ربة البيت تقوده لتساعده على سلب اموال بعلها . وانتهى الى واحد من تلك الصناديق مملوء بالجواهر فوقف امامه واخرج من جيبه سكيناً فعالج به قفل الصندوق حتى فتحه . فقالت له السيدة لا تعجل يا صاح فانك ستصل الى افضل من هذا فقال اشكرك يا سيدتي لكن هذا كيفني اذا سمحت لي به . قالت نعم هو يكفي ولكنك ستجد صعوبة في بيع هذه الجواهر وربما عرفت فافضحت بسببها فالافضل لك ان يكون ما تأخذه نقوداً . قال هذا هو الصواب . قالت ان زوجي ينام في الغرفة التي فوقنا وتحت سريره اكياس مملأ بالليرات فان استطعت ان تحمل واحداً منها اغناك آخر الدهر . قال اجل لكن اذا استيقظ زوجك فماذا يحل بي . قالت انك تستطيع ان تسكته في اقل من لحظة . وللحال لمع في عينها برق الانتقام

فادرك يوسف حينئذ انها ما ارادت الا ان تستعين به على الايقاع بزوجهما انتقاماً منه وتخلصاً من شره ولما لم يسبق له عادة بمثل ذلك قال لا يا سيدتي فاني اسرق لا اضطراري الى المال ولكني لا اقتل . قالت انت وما تريد ولقد كنت اظنك فتناً كجريئاً على الاهوال نخاب ظني فيك واذا كنت قد اقتنعت بالجواهر فخذ من هذا الصندوق الذي فتحته ما تستطيع حمله

وبينما هم ان يمد يده الى الصندوق اذ رأى السيدة قد نظرت الى الخارج واعارت اذناً صاغية فتوقف لينظر ما يكون وللحال سمعا كلاهما وقع اقدام ثقيلة في اول الدهليز ورأيا نوراً ضعيفاً فقالت له هذا زوجي قد اقلقتك افكاره ولعله سمع حركة فجاء لينظر ما الخبر فاخشي انت وراء هذا الستار واذا وصل احتلت على صرفه ثم تأخذ ما تريد وتنصرف . فدخل واخشيأ وراء ستار النافذة ولم يلبث قليلاً حتى وصل اللرد فوقف بباب الغرفة وهو بشباب النوم وفي يده شمعة فرأى زوجته واقفة امام صناديق الجواهر . فالتق عليها نظرة حادة وقال ما الداعي لوجودك هنا في مثل هذه الساعة . قالت اني ارق في هذه الليلة ولم استطع الرقاد وليس لي ما اتسلى به فجئت اقطع قليلاً من وقتي برؤية هذه الكنوز . قال لا عجب في ذلك فان من يحاربه ضميره لا ينام . قالت اذن لذلك انت تنام ملء عينيك ولا تكاد تستيقظ الا في النادر . قال اما انا فان ضميري لا يحاربني الا على امر واحد وهو اتخاذي اياك زوجة لي فياليتني مت قبل ان انزلت نفسي الى مقامك اورفعتك الى مقامي . قالت وما يمنعك ان تطلقني . قال خوفي من الفضيحة بالسنة الناس ولذلك آثرت مض البلية على احتمال العار وانا اعلم انك تودين

الطلاق لتتخذي ادورد زوجاً لك ولكن ينبغي ان تعلمي ان هذا من
الحال فوتك امام عيني ايسر من خلاصك من يدي . ثم زفر زفرة
محركة وقال آه من النساء يطاب المرء شريكة لحياته تشاطره السراء
والضراء فتكون قذى في عينه وغصة في حلقه ومرارة يجبرها كل دقيقة
وكان هياج اللرد شديداً ورأى بجانبه كرسيّاً فجلس عليه واخذ يحدق
الى الصناديق ليرى هل طراً عليها شيء . وكان يوسف قد ترك السكين
على غطاء الصندوق الذي فتحه فامحته زوجة اللرد قبل ان يراه هو
فاسرعت وتناولته خلسة واخفته في يدها بين اثناء ثوبها ثم اتت ووقفت
وراء كرسي زوجها وكان اللرد لا يزال يتم بالشتائم ويلعن الساعة التي اتخذ
فيها زوجة . وعند ذلك بلغ الغيظ من زوجته مبلغه وفطنت للسكين الذي
في يدها فرفعت يدها من وراء زوجها وطعته في عنقه طعنتين فتدفق
الدم من وريده وحاول ان ينهض فلم يقدر فصاح قتلتي ايتها الملعونة وللحال
خر الى الارض صريعاً قتلوى وتشنج وان الى ان فاضت روحه وهي قابضة
عليه بيديها

ولما سكنت حركة اللرد خرج يوسف من مخبئه وتقدم نحوها فنظرت
اليه باسمة وقالت له بقلب ملوء السكينة انك لم تجترئ على هذا العمل
فعملته انا وارحت نفسي من شر هذا الظالم العتي لا رحم الله روحه . قال
يوسف لكن ربما قُلت بعده بيد العدل . قالت هو خير لي من ان يبق
حيّاً واذوق معه الموت كل يوم اصنافاً . والآن فسلم وساعدني لجلسه على
كرسيه وخذ ما شئت من هذه الجواهر وعجل خروجك فقد اوشك ان

يتبسم الصباح . فاقترب يوسف وساعدها على رفعه حتى اجلساه على
الكرسي وتلوث يدا يوسف من دمه فشعر بقشعريرة ورعدة عظيمة .
ولما فرغا من ذلك هم بالخروج فقالت له والجواهر . قال لم اعد باحتياج الى
شيء سوى الخروج من هذا المحل . قالت لا تكن سخييف العقل فلن
يكون لك غير هذه الفرصة فخذ ما استطعت من المال قبل ان تقاسمه ايدي
الغرباء . ثم فتحت له الكيس واخذ يضع فيه من تلك الجواهر حتى بلغ
كفايته ثم حمل الكيس وانحنى لها شاكراً وخرج من النافذة ولما وطئ الارض
تنفس نفساً مديداً وقال الحمد لله فقد نجوت . غير انه ما كاد يرفع رجله ليخطو
حتى سمع صراخاً دوت له تلك الناحية وصوتاً يصيح واذلاًه قتلوا زوجي .
امسكوا القاتل امسكوا القاتل . فلما سمع يوسف ذلك بادر فطرح الكيس
عن كتفه واطلق ساقيه للريح غير انه ما وصل الى سور الحديقة حتى
سدت الخدم في وجهه باب القرار فامسكوه ورجعوا به الى البيت ثم
وصلت الشرط والجنود فاوثقوه وادخلوه الى الغرفة حيث القتل على كرسيه
والزوجة الحائنة جاثية بجانبه تبكي بكاءً مرّاً . فسألها الشرطي اهذا هو
القاتل يا مولاتي فرفعت منديلها عن عينيها ونظرت اليه وقالت نعم هو بعينه .
ثم قالت له ويلك ايها الفادركيف طاوعتك يدك الاثيمة على قتل هذا
الشيخ العاجز . وغلب على يوسف الدهش فلم ينبس بنت شفة فقال له
الشرطي مالك لا تتكلم . فقال يعلم الله يا مولاي اني لست انا القاتل واذا
قلت لكم انها هي القاتلة فهل تصدقون . فلطمه احد الخدم على رأسه وقال
له اخرس يا لئيم . فقالت لهم دعوه اتم واتركوا امر معاقبه للقضاء . ثم

○ لغة الجرائد ○

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون تعرّف على فلان اذا احدث به معرفة وهو من التعبير العامي ومن الغريب ان اصحاب اللغة لا يذكرون ما يعبر به عن هذا المعنى لكن جاء في كتب المولدين تعرّف به معدّي بالباء وهو مبني على قولك عرفته به اذا جعلته يعرفه على ما يؤخذ من عبارة المصباح . وقد ورد مثل هذا في الاغانى في اخبار عبادل ونسبه وهو قوله فحركت بعيري لأتعرّف بهنّ وأنشدهنّ . ومثله بعد سطر . وفي نفع الطيب في الكلام عن يوسف الدمشقي وكان من الذين اخفاهم الله لا يتعرّف به الا من تعرّف له اي اظهر له معرفة نفسه . ومثله في كلام ابن بطوطة وغيره مما لا حاجة الى استقصائه وفي كل ذلك كلام لا محل له في هذا المقام

ويقولون مكانٌ واطىٌ وقد وطؤ المكان اي انخفض واطمان ولم يرد من هذا الا قولهم الوطاء بفتح الواو وكسرهما والميطاء لما انخفض من الارض بين النشاز والاشراف يقال هذه ارضٌ مستوية لا رباء فيها ولا وطاء اي لا صعود فيها ولا انخفاض ولم يُسمع من هذا فعل ويقولون زرع الشجرة اي غرسها وانما الزرع للحب والبرز ولا يقال للشجرة وما في معناها

ويقولون سارت به المركب فيؤثثون المركب وهو عجيب وقد ورد مثل هذا في سياقة الف ليلة وليلة ولا يُدرى ما اصله ومثله قولهم التهب حشاه من الحزن وربما قالوا وجعته رأسه ووجعته

نظرت الى يوسف وقالت نعم ايها السفاك الباغى والسارق المعتدي اني رأيتك واقعاً في هذه الغرفة ورايت زوجي المسكين مضرجاً بدمائه وبين يديك كيسٌ مملوء بالجواهر التي سرقتها من هذا المحل فحملته وبادرت الفرار فالويل للّصّ القاتل . وفيما هي تتكلم اذ دخل احد الخدم ومعه الكيس الذي طرحه يوسف عند هربه وهكذا تهرأت تلك الحائنة وعيثاً حاول يوسف تبرئة نفسه فاخذوه وزجّوه في السجن المؤبد يقاسي فيه الوان العذاب وخلا الجو لتلك الاثيمة فاقامت بعد ذلك تتمتع بالسعادة والننى مع محبوبها ادورد

ومرّت على يوسف بضع سنوات في السجن وهو صابرٌ مستسلمٌ لاحكام القضاء وقد ايقن ان ذلك كان عقاباً له لمطاوعته نفسه الامارة بالسوء . واتفق بعد ذلك ان مفتش السجن طاف عليها يزور المسجونين وينظر في احوالهم ولما بلغ سجن يوسف توسل اليه ان يسمع خبره وقص عليه ما كان من امره وانه انما يقاسي الحبس ظمناً ولكن شواهد الحال لا تسمح له بالتبرؤ لانها باسرها تثبت التهمة عليه . فرق المفتش لحاله ودعته نفسه لتحقيق الامر فاحتال في التقرب من امرأة اللرد وجعل يتردد عليها المرّة بعد المرّة ويريهما من نفسه التعلق بجمالها حتى تمكنت بينهما علائق الحب واخذ يستدرجها شيئاً فشيئاً الى ان باحت له بالسرك وكشفت له حقيقة الواقع . واذ ذاك رفع المفتش الامر الى ديوان القضاء وبعد فحص القضية ظهرت لهم جلية الامر واعترفت اللعينة بما فعات فأطلق سراح يوسف بعد ان كوفى عن مدة حبسه من مالها واستلم العدل تلك القاتلة لمعاقبتها بما تستحق